Journal of Alasmarya University
Volume 10, December 2008

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد العاشر، ديسمبر 2008

منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة

د. بشير سالم عمر عطيث*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان ونهى عن الفساد والظلم والعدوان، أمر بالصلاح والإصلاح ﴿وَمَاكَانَرَبُّكَلِيُهْلِكَالْقُرَىبِظُلْمٍوَأَهْلُهَامُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117] ونهى عن الفساد في الأرض والخروج عن أوامر الله ونواهيه. ومن الخروج عن أوامر الله تلويث البيئة التي يمارس الإنسان حياته فيها فينعكس هذا على سائر سلوكه وتصرفاته

وقد أصبحت البيئة ومشكلاتها البيئية وتلوثها واستنزافها حديث المثقفين والمفكرين في العالم كله، بل أصبح هم الجماهير الغفيرة من الناس؛ لأن فساد البيئة واستنزاف مواردها يهدد الجميع، ولا عجب أن تنشأ للبيئة وحمايتها في كل الدول مؤسسات رسمية وشعبية علمية وعملية إلى جوار المؤسسات الأخرى في الدولة، وأن تعقد الندوات العلمية والحلقات الدراسية، والمؤتمرات لمواجهة هذه القضية الكبرى بما تستحقه. وبطبيعة الحال لابد في هذا الموقف من بروز سؤال كبير يقول ما موقف الإسلام من هذه القضية؟ لقد كتب عدد من الباحثين في هذا الموضوع، منهم الدكتور يوسف القرضاوي[1] والدكتور عدنان أحمد الصماوي[2]، ولكن لا يزال المجال متسعاً

---

* جامعة السابع من إبريل.

1- له كتاب «رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية».

2- له بحث منشور بمجلة الشريعة الإسلامية جامعة الكويت العدد الحادي والخمسون سنة 2002.

لقول قائل ولكل مجتهد نصيب.

وسنتناول في هذا البحث المطالب الآتية:
المطلب الأول: مفهوم البيئة وأقسامها.
المطلب الثاني: مفهوم التلوث والفساد، سبب التلوث البيئي ومصادره.
المطلب الثالث: الأسس الإسلامية لرعاية البيئة ثم التوصيات والخاتمة.

المطلب الأول: مفهوم البيئة

البيئة لغة: اسم مشتق من الفعل باء يبوء، أي رجع، وبوأ المنزل: أي اتخذه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً﴾ [العنكبوت: 58]. وتبوأ المكان: نزله وأقام به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: 9] أي الذين اتخذوا المدينة المنورة منزلاً وسكناً والتبوء التمكن والاستقرار، والبيئة والباءة والمباءة المنزل[3].

البيئة اصطلاحاً: هي الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها[4]. وفي ضوء هذا التعريف، فإن مفهوم البيئة يعني تحديداً. الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر، بل إن البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من كائنات حية وأشياء غير حية بشرط أن يؤثر فيها ويتأثر بها ويكون بينهما تأثير وتأثر.

ونستطيع من خلال هذا المفهوم الشامل للبيئة أن نقسمها إلى قسمين مميزين هما:
- البيئة الطبيعية.
- البيئة المشيدة.

أولاً: البيئة الطبيعية

هي كل ما يحيط بالإنسان من ظاهرات ومكونات حية وغير حية من خلق الله سبحانه وتعالى، ولا دخل للإنسان في وجودها، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً

3- لسان العرب، مادة (بوأ)، والمعجم الوسيط، دار الحديث للطبع والنشر، بيروت، ص75.
4- منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة، بحث منشور في مجلة الشريعة الإسلامية، جامعة الكويت، العدد الحادي والخمسون، 2002، للدكتور عدنان أحمد الطماوي، ص301.

وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 10-14].

وهذه البيئة الطبيعية تتميز بأمرين أساسيين هما:

الأمـر الأول: أن هذه البيئة مهيئة بكل ما فيها لمصلحة الإنسان وخدمته، وتوفير حاجاته. فـالأرض قد هيئت لتكون مستقراً ومتاعاً للإنسان، فجعلها الله ذلولاً له، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجـر: 19-20] ومـن لـوازم ذلـك: أن جعـل الله تربة الأرض خصبة قابلـة للزراعة والإنبات، ثم هيأ الله الماء الذي يحي الأرض بعد موتها وهو أساس الحياة للإنسان والحيوان والنبات ... إلخ.

الأمـر الثانـي: أن هـذه البيـئة كلها بجوانبها المختلفة يتفاعل بعضها مع بعض، ويتكامل بعضها مع بعض، فالشمس تعطي الأرض من ضوئها وحرارتها ما لا تقوم الحياة إلا به، وكـذلك القمـر يعطـي نـوره -الذي يستمده من الشمس- للأرض، كما يؤثر في ظاهرة المد والجزر، وهذا كله لخدمة الإنسان[5]... إلخ.

ثانياً: البيئة المشيدة

وهي تلك التي يشيدها الإنسان من خلال تفاعله مع بيئته الطبيعية، كالمصانع وما شيد من منشآت ومناطق سكنية وتنقيب عن الثروات الطبيعية[6].

والبيـئة بشـقيها الطبيعـي والمشيد هي كل متكامل يشمل إطارها الكرة الأرضية ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10].

المطلب الثاني: مفهوم التلوث والفساد

التلوث لغة: يقال لوث الشيء بالشيء: أي خلطه به ومَرَسَهُ ويقال: لوث الماء: أي خلطه بغيره، أو لوث التراب أي خالطه بشيء خارج عنه[7].

5- رعاية البيئة في شريعة الإسلام. د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط الأولى، 2001، ص13.

6- بتصرف، البيئة والإنسان، رؤية إسلامية. د. زين الدين عبد المقصود، دار الحديث للبحوث العلمية، ص13.

7- لسان العرب، مادة لوث.

الـتلوث اصطلاحاً، له عدة تعريفات منها: « إفساد المكونات البيئية، حيث تتحول هذه المكونات من عناصر مفيدة إلى عناصر ضارة بما يفقدها دورها في صنع الحياة»[8]. وهـو: كـل تغـير كمـي أو كيفـي يلحـق بأحـد الموارد الطبيعية في البيئة، كالهواء والماء والغـذاء أو التربـة، فـيغير مـن خصائصه أو يخل بتوازنه بدرجة تؤثر في الكائنات الحية التي تستخدمه، وفي مقدمتها الإنسان، تأثيراً غير مرغوب فيه[9].

أمـا أنـواعه فهـي عديدة منها: ملوثات طبيعية: وهي التي تنتج عن مكونات البيئة ذاتهـا، دون تـدخل الإنسـان، كالغازات والأتربة التي تقذفها البراكين. وملوثات مستحدثة وهـي الـتي تـتكون نتـيجة لمـا اسـتحدثه الإنسـان في البيـئة من تقنيات، وما ابتكره من اكتشافات، كالتي تنتج عن الصناعات النووية.

ومـنها الملـوثات الـتي باتـت تشكل خطراً كبيراً على حياة الأفراد والمجتمعات، وهي الضوضاء الناتجة عن الصناعات، والتضخم السكاني أو محركات السيارات، أو ما تلحظه في الأسواق الشعبية من إفراط في استخدام مكبرات الصوت، والله يقول: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]. ويقول: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110].

وأسـاس الشـريعة الإسـلامية هـو درء المفاسد وجلب المصالح، ولا شك في أن المحافظـة علـى الهدوء وعدم إثارة الضجيج خاصة ما يلاحظ خلال حفلات الزواج من إفـراط في اسـتخدام مكـبرات الصوت والمفرقعات في ساعات متأخرة من الليل، أو في السـاعات الأولى مـن الصـباح، دون مـراعاة لمرضـى يصـارعون حـالات أرق، أو طلبة يكـدون مـن أجـل المذكـرة، أو فـلاح أو منـتج كـد وسعى يومه وجاء ليستريح في بيته ليسـتعد للـيوم التالـي، وللضـجيج من مكبرات الصوت أو السيارات له تأثير سلبي على الإنسان.

وهـناك الـتلوث البصري والأخلاقي بما نشاهده عبر شاشات التلفزيون من قذى للعين من الجرائم اللاأخلاقية من الغرب الحاقد واليهود الماكرين على أمة الإسلام، ولا سيما في فلسطين المحتلة والعراق الشقيق، ومن تفاهات تؤذي العين وتلوث البصر.

8- البيئة والإنسان رؤية إسلامية، د. زين الدين عبد المقصود، ص 111.

9- منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة، د. عدنان أحمد الطماوي، ص304.

المطلب الثالث: الأسس الإسلامية لحماية البيئة من الأساس

أولا: التشجير والتخضير

للأحياء النباتية دور كبير في المحافظة على تناسب مكونات الطبيعة والمحافظة على اتزانها واستمرار الحياة عليها، ونقرأ في القرآن الكريم في معرض امتنان الله على خلقه بما سخر لهم من أسباب الزرع والغرس والشجر والخضرة، فيقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ [الأنعام: 141]. وقد تعرض الحق عز وجل لفوائد الشجر والنخيل فقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: 20].

وشجرة الزيتون هي شجرة دائمة الخضرة وتزود الجو بالأكسجين على مدار فصول السنة من دون توقف، وتعد شجرة الزيتون من أكثر الأشجار تواضعاً، حيث تنمو في كل مكان سواء كان شرقياً حاراً أو غرباً بارداً، ولا تحتاج أشجار الزيتون إلى رعاية خاصة، فهي إحدى معطيات الخالق عز وجل التي أنعم بها على عباده.

أما الأحاديث النبوية الخاصة بالنبات والزرع والحفاظ عليها فهي متعددة، نذكر منها: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « مَا مِنْ مُسْلِم يغْرِسُ غَرْساً أو يزْرَعُ زَرْعاً فيأْكُلُ منهُ طَيْرٌ أو إنْسَانٌ أو بهيمَةٌ إلاَّ كان له به صدقة »[10]. بل حرص الإسلام أشد الحرص على الزراعة والغرس، حتى ولو في آخر لحظات العمر، يقول رسول الله ﷺ: « إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها »[11]. يقول القرطبي في تفسيره: « والزراعة من فروض الكفاية، فيجب على الإمام أن يجبر الناس عليها وما كان في معناها من غرس الأشجار »[12].

ثانيا: الاهتمام بالغابات والحدائق والنهي عن قطعها

إن الاهتمام بالغابات والحدائق يُعَدّ اليوم من أهم مظاهر الاهتمام بالبيئة، والله

10- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمود فؤاد عبد الباقي، رقم كتبها وأبوابها، دار الحديث القاهرة، 2004، حديث رقم 2320، كتاب الحرف والمزارعة، باب فصل الزرع والغرس إذا أكل منه، ص5، ج5.

11- رواه أحمد (3 /183، 184، 191)، والبخاري في (الأدب المفرد) رقم 479، وذكره الألباني وصححه برقم (9).

12- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، ج3، ص306.

سبحانه وتعالى جعل الأشجار نعمة من نعم الله وآية من آياته، وساق لها رزقها من السماء، ليجعل من هذه الأشجار غابات وارفة الظلال، قال تعالى: ﴿هُوَالَّذِيأَنزَلَمِنَ السَّمَاءِمَاءًلَّكُممِّنْهُشَرَابٌوَمِنْهُشَجَرٌفِيهِتُسِيمُونَ﴾ [النحل: 10]. ويقول أيضاً: ﴿فَأَنبَتْنَابِهِ حَدَائِقَذَاتَبَهْجَةٍمَاكَانَلَكُمْأَنتُنبِتُواشَجَرَهَا﴾ [النمل: 60].

وذلك لما لها من فوائد كثيرة لعل من أهمها:

- توفير كميات كبيرة من الأكسجين الذي يتنفسه الإنسان والحيوان، وهذا أمر في غاية الأهمية، لا سيما في هذا العصر الذي زادت فيه الملوثات والغازات السامة في طبقة الجو.
- تثبيت التربة ومنعها من الانجراف[13].
- توفير الثمر الطيب، والظل الظليل، والمنظر الجميل، الذي يهذب النفس ويريح الشعور[14]، ويخفف الحرارة ويساعد على حفظ التوازن البيئي ويمتص الضوضاء، والاهتمام بالأشجار والحدائق جاء به الإسلام وسبق به غيره.

فعن أم مبشر[15] امرأة زيد بن حارثة[16] قالت: دخل علي رسول الله ﷺ في حائط لي فقال: يا أم مبشر مسلم غرس هذا أم كافر؟ قلت: مسلم، فقال: « ما من مسلم يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو دابة إلاّ كانت له صدقة »[17]، ومعنى الحائط: مزرعة الشجر من النخل وغيره. وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول: « من نصب شجرة فصبر على حفظها، والقيام عليها حتى

13- الإسلام والبيئة، د. خالد الفلاح، بحث غير منشور.

14- رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط1، 2001، ص98.

15- أم مبشر بنت البراء بن معرور، وزوجة زيد بن حارثة، وأم ولديه بشر ومبشر، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت، ط1412هـ-1992م، تحقيق علي محمد البيجاوي، ج1، 175، والطبقات الكبرى لابن سعد، الطبعة الأولى، 1968، بيروت، تحقيق إحسان عباس، ج8، ص458، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط1، 1404هـ- 1984م، ج2، ص427.

16- زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، مولى رسول الله ﷺ من أقدم الصحابة إسلاماً كان قد أصابه سباء في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة للرسول ﷺ فتبناه الرسول ﷺ بمكة قبل النبوة واعتقه وزوجه بنت عمته، واستمر الناس يسمونه (زيد بن محمد) حتى نزلت الآية: ﴿ادْعُوهُمْلِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: 5]. استشهد في غزوة مؤته، ينظر: كتاب الوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفد، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983، ص40.

17- مسند الإمام أحمد، وفيه قصته ج4، 166، 5، 374.

تثمر، فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل»[18].

فانظر إلى هذا الأسلوب الذي انتهجه النبي ﷺ في دعوة الناس إلى الغرس، إنه يعدهم بالأجر عن كل ما يأكله إنسان أو حيوان أو طير، ولا شك أن هذا دافع قوي للعمل والغرس، فقد يكون الرجل قليل الأبناء مستغنياً عن الغرس، لكنه رغبة في الأجر والثواب سيحرص على ذلك.

روى المناوي -بسنده- أن رجلاً مرّ بأبي الدرداء رضي الله عنه[19] وهو يغرس جوزة (شجرة جوز) فقال: أتغرس هذا وأنت شيخ كبير وهي لا تثمر إلا في كذا وكذا عاماً؟ فقال أبو الدرداء: «ما علي أن يكون لي أجرها ويأكل منها غيري». ثم قال: والحديث يتناول حتى ما غرسه لعياله أو لنفقته لأن الإنسان يثاب على ما غرس له، وإن لم ينو ثوابه، ولا يختص حصوله بمن يباشر الغراس بل يشمل من استأجر لعمل ذلك[20].

والإسلام اعتبر ملكية الأرض ليس كملكية باقي المواد من عقار وسلع ونقد وغير ذلك، بل ملكية إنتاج وليس مجرد ملكية فقط، وشرع أحكاماً خاصة للأراضي، فجعل الأرض تملك ابتداء بالشراء، وتملك بالإرث، وتملك بالأحياء، وبالإقطاع -أي توزيع بعض الأراضي من قبل الدولة على الرعية- ولا يوجد مال ولا متاع يملك بهذا غير الأرض، وبهذه الأحكام يحافظ الإسلام على الغطاء النباتي.

وأجبر الإسلام كل من ملك أرضاً على استغلالها، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين فلم يعمرها عمرها قوم آخرون فهم أحق بها[21] واهتم الإسلام بالغابات فنهى عن قطع الأشجار إلا في الضرورة القصوى، قال ﷺ: «لا تقطعوا شجراً إلا إذا اضطررتم»[22]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا

18- الحديث رواه البيهقي أيضا في شعب الإيمان، 3 /365.

19- أبو الدرداء الخزرجي الزاهد الحكيم أسلم بعد بدر وولىّ قضاء دمشق لمعاوية في خلافة عثمان، توفي سنة اثنتين وثلاثين 32، ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ج1، ص38.

20- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1356، ج5، ص481.

21- بتصرف المعنى مع الشرح الكبير، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط بلا، ج5، 569-571.

22- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، القاهرة، دار الريان للتراث، 1407هـ ج5، 317.

وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: 205].

ويذكر القرطبي أن الآية نزلت في الأخنس[23] بن شريق، حيث قدم على رسول الله ﷺ فزعم أنه يريد الإسلام، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ فمر بزرع القوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر[24]، ويذكر التاريخ في هذا الصدد وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجيوش الفتح المتوجهة إلى الشام قائلاً لهم: « لا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله »[25].

ويتضح من هذه الوصية دعوة الإسلام للحفاظ على الحياة البرية من نبات وحيوان وطير، وبهذا فإنها تمثل تشريعاً راقياً في أسلوب الحفاظ على البيئة من الإتلاف والتدمير والقطع، الأمر الذي يدل على عظمة الإسلام ورقيه، وأنه حضارة إلهية، وطابع الحضارة في الإسلام أخلاقي في أساسه يقوم على مفهوم العدل الشامل، بخلاف حضارة الغرب فإنها حضارة عوراء ترى الحقيقة من جانب واحد ولا تعترف إلا بما تراه.

لقد بلغ من أمر الإسلام وحمايته للأحياء البرية والنباتات على حد سواء أن أسس أول محمية طبيعية في العالم، وأعني بها الحرم المكي والمدني، فهذه الأماكن لا يجوز فيها قتل الحيوان أو الطير أو أخذ بيضه، كما لا يجوز قلع النبات أو كسره أو حرقه ... قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57].

والآن ومع التقدم العلمي والصناعي لم تسلم الحياة النباتية من التدمير، سواء كان هذا التدمير ناتجاً عن قطع أشجار الغابات وظهور بوادر التصحر، أو ناتجاً عن الرعي الجائر للحشائش الطبيعية، ولهذا السبب لم تعد الغابات تغطي سوى 24 مليون كم^2 من مساحة اليابسة، بينما كانت مساحتها تتجاوز 37 مليون كم^2، فأختل التوازن بين عناصر

23- الأخنس بن شريف، أسمه أبي، والأخنس لقب لُقب به، لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من بني زهرة، وكان رجلاً حلو القول والمنظر، فجاء إلى النبي ﷺ فأظهر الإسلام ثم هرب بعد ذلك فمر بزرع القوم وحمرهم فأحرق الزرع وعقر الحمر. نقلا عن القرطبي، ج3، ص17.

24- القرطبي، ج3، ص17.

25- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط1، 1407، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص246.

الطبيعة، وزالت التربة في كثير من الأماكن[26]، فبلغ معدل تدمير الغابات في العالم فدانا واحداً كل ثانية، طبقاً لإحصاء عام 1984م. فكم يا ترى تكون النسبة الآن؟![27].

ومن جهة أخرى هناك ما يزيد عن 90 دولة تواجه مشكلة التصحر حيث انخفضت إنتاجية أراضيها خلال عشرين عاماً بمعدل 40٪، ويؤكد الخبراء أن احتمال نقص الأراضي القابلة للزراعة تصل إلى 25٪ من الأراضي المزروعة في الدول النامية حتى العام 2000م[28]. وفي بلدي ليبيا لم أعثر على إحصائية دقيقة بالخصوص إلاّ ما رأته عيني، فهو لا يقل عن ما ذكرناه أنفا.

والبيئة هي: الميراث المشترك لجميع البشر خلقها الله لهم، ولا يجوز لأي فرد أن يحدث فيها إفساداً، فالضرر يصل الجميع ما لم يتم المنع. قال رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استَهَمُوا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استُقُوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً»[29].

وقد نص القانون الليبي رقم 15 لسنة 1989 على حماية الأشجار من القطع والقلع[30]، كما أن الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في عصر الجماهير (1988) أشارت في مادتها الرابعة عشرة (14) إلى أن المجتمع الجماهيري متضامن ويكفل لأفراده معيشة ميسرة كريمة، كما يحقق لأفراده مستوى صحياً متطوراً وصولاً إلى مجتمع الأصحاء[31].

ولعل من أهم مظاهر انتهاك حقوق الإنسان المساس بالتوازن الطبيعي للبيئة،

26- نقلا عن: الإسلام والبيئة، عبد العظيم أحمد عبد العظيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م، ص54 بتصرف.

27- نقلا عن: رعاية البيئة في شريعة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص217 بتصرف.

28- إنهم يقتلون البيئة، د. ممدوح حامد عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص73.

29- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟ والإسهام فيه، حديث رقم 2493.

30- الجريدة الرسمية لسنة 27، العدد 25، ص669.

31- الجريدة الرسمية لسنة 26، عدد خاص.

والجدير بالذكر أن اللواء الخويلدي الحميدي -عضو مجلس قيادة الثورة- أمر منذ عام 2003-2007 بغرس ما يزيد عن (488-830 مليون) ما بين أشجار مثمرة وأشجار للغابات، تمت زراعتها بالمشاريع الزراعية والمحطات البحثية.

ثالثا: النهي عن تلويث المياه واستنزافها

من أهم الموارد التي يجب العناية بها، والمحافظة عليها: الماء، فهو أصل الحياة للإنسان والحيوان والنبات لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]. فمنذ أن خلق الله الأرض، وضح أهمية العناصر الموجودة على سطحها، وجعل من الماء كل شيء حي، فالماء أول عنصر خلقه الله سبحانه وتعالى فجعل منه حياة الكائنات.

فالماء ثروة غالية نفيسة، ولكن الناس لا يقدرونها حق قدرها، لأن الله تعالى هيأها للناس بالمجان، في الأنهار والبحيرات والأمطار. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: 32]، ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: «ومن فضل الله على عباده أن جعل الأشياء الضرورية للناس أرخص الأشياء لأنه هيأها للناس بوفرة، مثل الماء والهواء والحرارة والضياء، وهذا ما جعل كثيراً من الناس للأسف لا يحسون بقيمة هذه النعم إلا إذا فقدوها أو حرموا منها ولو جزئياً، وبضدها تتميز الأشياء»[32].

ولكن مما ينبغي أن يعلمه الناس أن للماء خاصية وهي أنه لا يقبل الزيادة والنماء مثل الثروة النباتية كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: 18]. ويقول القرضاوي أيضاً: «وإذا كانت الكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان لا تستطيع أن تعيش بغير الماء، والماء محدود، فالواجب على البشر أن يحافظوا على هذا الكنز النفيس ولا يسيئوا إليه بتلوثه أو إضاعته أو الإسراف في استهلاكه ... إلخ»[33].

وقد نبه قائد ثورة الفاتح من سبتمبر مراراً على ذلك، وقال: إن البشرية مقبلة على أزمة في المياه، وستكون سبباً من أسباب الحروب بين الدول. ومن الجدير بالذكر أن من أهم المنجزات الحضارية التي تم تشييدها بليبيا مشروع النهر الصناعي، والذي يهدف إلى نقل المياه من الأحواض المائية الضخمة المحتوية على كميات هائلة من

32- رعاية البيئة في شريعة الإسلام، ص100.

33- المصدر نفسه.

المياه العذبة جنوب ليبيا حيث مناطق الوفرة إلى مناطق الحاجة، وذلك بغية الاستفادة منها في أغراض الاستعمالات البشرية والزراعية.

وقد اتخذ الإسلام عدة خطوات للحفاظ على الماء، منها النهي عن تلويث المياه بأي سبب من أسباب التلويث، قال ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد (موارد الماء) وقارعة الطريق والظل»[34]. وقال ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه»[35].

والتلويث في عصرنا اليوم لم يعد مقصوراً على البول والبراز ونحوها من الحاجات البشرية التي يفعلها الدهماء من الناس، ولكن هذه إشارات إلى أولئك الذين يلوثون مصادر المياه اليوم كمن يستخدم بعض الآبار القديمة كآبار سوداء لوضع فضلات ومخرجات البيوت فيها، أو يلفون القمامة والأوساخ فيها، وبذلك تتلوث المياه الجوفية والتي هي حق لجميع الأجيال، وليس هذا فحسب، بل غدت هناك أنواع أشد خطراً، وأبعد أثراً، وأوسع نطاقاً، من هذا كله، وهي التلويث بمخلفات الصناعة والمواد الكيماوية، الأمر الذي جعل أمر المحافظة على المياه ومنع تلويثها صعب المنال خاصة في الظروف الراهنة، ففي البحر الأبيض المتوسط تلقى (400) مليون م^2 من النفايات، وكذلك تلقى في الأنهار العذبة التي يعيش عليها الإنسان مياه المعامل، كمعامل تكرير البترول ومحطات توليد الكهرباء، ومعامل صناعة الأسمدة، ناهيك عن مياه الآبار السوداء التي تتدفق في البحار والأنهار[36] دون احترام للحيوان أو النبات الذي يعيش فيها، أو احترام للإنسان الذي يستخدم الماء.

إن الذي يفعل ذلك فرداً أو جماعة يدمر البيئة، فهو عدو للجميع، فلا نستغرب بعد ذلك أن نجد النبي ﷺ يلعنه بقوله: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل»[37]. والنهي يشمل جميع مصادر المياه، من ذلك شواطئ البحار التي

34- رواه أبو داود 1 /20 حديث 26 وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (112).

35- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الحديث، ط2004، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم، حديث رقم 239.

36- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت تعني بالبحوث والدراسات الإسلامية، العدد الحادي والخمسون 2002 بحث مقدم من الدكتور عدنان أحمد الطماوي، منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة، ص191.

37- سبق تخريجه.

يرتادها الناس للسياحة والصيد أو التجارة عن طريق المواني، فينبغي على الجميع سياحاً كانوا أو صيادي أسماك أو تجاراً أن يلتزموا بترك الأماكن التي يرتادونها نظيفة آمنة من التلوث والفساد، لكن للأسف الذي يذهب إلى شواطئ البحار ليشم الهواء النقي ويستمتع بالجو العليل يجد الروائح الكريهة التي تخرق الخشوم المنبعثة من هذه القاذورات.

رابعا: خطر الإسراف في الماء

وهناك خطر آخر يتجسد في سوء استهلاك الماء، والإسراف في استخدامه، يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُواوَاشْرَبُواوَلَاتُسْرِفُواإِنَّهُلَايُحِبُّالْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]، وحرمت السنة المطهرة الإسراف في استخدام الماء، فقد مَرَّ رسول الله ﷺ بسعد بن أبي وقاص[38] وهو يتوضأ فقال: لا تسرف، فقال: أوفي الماء إسراف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جارٍ»[39].

ذلك أن استنزاف المياه والإفراط في استخدامها من شأنه أن يؤدي إلى نضوب هذه المياه، والماء جعله الله حقاً شائعاً للبشر جميعاً، فحق الانتفاع به مكفول للجميع بلا احتكار ولا إفساد ولا تعطيل[40]، فهل سندرك أبعاد ما نرتكبه من حماقات إزاء هذه النعمة الجليلة، وهل سندرك أننا باستنزافنا لهذه النعمة نرتكب أفعالاً لا يحبها الله جل جلاله وهل نعلم أن المبذرين في كل شأن خاصة الماء هم إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً، فهل نبادر إلى إصلاح شبكات المياه داخل بيوتنا منعاً لأي تسرب أو ضياع للماء، وهل تلتزم أخي المزارع بقواعد الريّ ومواعيده وهي الصباح الباكر صوناً للماء وحرصاً على أن تصل كل قطرة ماء إلى الشجرة.

خامسا: النهي عن تلويث السحب

تعد السحب من أهم مصادر المياه، فأكثر المناطق الزراعية في العالم تقوم على

38- سعد بن أبي وقاص: هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري.أبو إسحاق: فارس الإسلام، الصحابي الأمير، فاتح العراق ومدائن كسرى ولد سنة 23 ق هـ واسلم وعمره 19 سنة وشهد بدراً وهو أحد الستة الذين جعل عمر منهم الشورى، وأحد العشرة المبشرين، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ولىّ الكوفة في عهد عمر وعثمان ثم عزله عثمان، ثم عاد إلى المدينة حتى مات ودفن بها. ابن قنفد، ص31.

39- رواه ابن ماجة برقم (425) وفي إسناده ضعف.

40- نقلا عن رعاية البيئة في شريعة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص140.

مياه الأمطار، وكثير من الشعوب تشرب منها وتستعملها في حوائجها المختلفة، بل حتى المصادر الأخرى للمياه كالأنهار والمياه الجوفية إنما تغذيها الأمطار وترفع منسوبها، فإذا تسببنا في تلويث السحب بالأدخنة السامة نكون قد قمنا بتلويث المياه كلها، فالسحب تتحول إلى أمطار والأمطار إما أن يشربها الإنسان أو الحيوان أو النبات، أو تذهب إلى باطن الأرض كمياه جوفية وتستقر تحت الأرض مكونة مياه جوفية.

فإذا نزلت الأمطار شرب منها كل كائن حي على الأرض، كما تشرب منها الأرض أيضاً، ولا يمكن التحكم بالسحب ولا حجزها في مكان واحد، ولذلك ينبغي علينا وفي أي مكان من العالم، أن لا نتسبب في تلويث السحب بالأدخنة والغازات التي تخرج علينا من بعض المصانع، وما تقذفه من غازات نتنة تخرق الخياشيم وتهلك الحرث والنسل، وأشدها خطراً الأدخنة الملوثة بالإشعاع، مثل إشعاع اليورانيوم والذي يستعمل في الحروب، وقد استعمله الأمريكان في حرب الخليج وخلفوا آثاراً شديدة الخطر على الكائنات الحية، وكذلك الأدخنة التي تخرج من عوادم السيارات، أو من حرق البلاستيك أو القمامة وغير ذلك، لقد أصبحت هذه الأدخنة مصدر إزعاج في العالم؛ لأنها تسبب مشاكل بيئية خطيرة منها على سبيل المثال: اتساع ثقب الأوزون، وارتفاع درجة الحرارة بشكل بات مقلقاً للبشرية في مستقبلها القريب.

سادسا: حماية الثروة الحيوانية

من أهم ما جاء به الإسلام في تنمية البيئة والحفاظ عليها وعلى مواردها عنايته بالثروة الحيوانية. وعناية الإسلام بالثروة الحيوانية من جهتين:

الأولى: أنها كائنات حية تحس وتتألم، ولها حاجات وضرورات ومطالب يجب أن تهيأ لها، ولا يجوز التقصير في حقها، لأنها لا تستطيع أن تطالب به، ولا يمكنها رفع أمرها للقضاء، لهذا كانت رعايتها ابتغاء وجه الله عز وجل وطلباً لمرضاته وخشية من عقابه، فهو من مراعاة المثل الأخلاقية العليا لذاتها، التي تميزت بها الشريعة الإسلامية[41].

والجهة الثانية: أنها تمثل ثروة للإنسان، ومورداً مهماً من موارد البيئة وخصوصاً المستأنسة منها، فإضاعتها تعني إضاعة مال الإنسان وهو منهي عنه.

والحيوان سخره الله للإنسان ومكنه من الانتفاع به أكلاً وركوباً وزينة. قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 5]. وقال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ

41- رعاية البيئة في شريعة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص88.

وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8]، ومن روائع ما ورد في السنة في المحافظة على نسل الحيوان، قول النبي ﷺ لمضيفه الأنصاري الذي أراد إكرامه بذبح شاه: «إياك والحلوب»[42]. قاله له حينما أخذ الرجل المدية ومضى ليذبح، لأن ذبح الحلوب فيه قضاء على أبنائها، والرسول ﷺ جاء ليربي الناس على قيم وأخلاق معينة ينبغي أن يلتزم بها الجميع، ورعاية هذه القيم على مستوى الأمة ذو مردود هائل عند من يتدبرون الأمور[43].

والأمر بالمحافظة على نسل الحيوان جاء بأساليب شتى من الترغيب والترهيب. من ذلك قوله ﷺ: «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة»[44]. والحديث يدل دلالة قوية على احترام كل ذي روح من الطير والحيوان ومنع قتله لغير حاجة ولا منفعة معتبرة.

ذلك لأن الله تعالى خلق هذا الكون بقدر وبتوازن دقيق وميزان بالغ الدقة محسوب بإتقان، فجعل من البشر أمة، ومن الجن أمة، ومن بقية المخلوقات، سواء أكانت أنعاماً أم زواحف أم دواب أم طير. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]. وما من شيء خلقه الله إلا لحكمة لا يعلمها إلا هو جلت قدرته.

ومن التعاليم التي نادى بها الإسلام، المحافظة على أجناس المخلوقات الحيّة من الفناء والانقراض، فإن الله لم يخلقها إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: 191].

ومن شدة اهتمام الإسلام بالأحياء البرية، أن أسس أول محمية طبيعية في العالم -وأعني بها الحرم المكي والمدني- فهذه الأماكن لا يجوز فيها قتل الحيوان أو الطير أو أخذ بيضه أو فراخه، كما لا يجوز قلع النبات أو كسره أو حرقه. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: 57]، وفي قصة نبي الله

42- صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز أتباعه غيره إلى دار من يثق يرضاه بذلك وبتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام، حديث رقم (2038) وفيه قصة.

43- نقلاً عن كتاب رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص90.

44- رواه النسائي (7-229) وابن حيان في صحيحه (الموارد: 1071) وأحمد 4 /389، كلهم عن الشريد القفي.

نـوح علـيه السـلام دعـوة لإنشـاء المحمـيات الطبيعية، فقد أمره الله سبحانه وتعالى ببناء سفينة كبيرة يحمل عليها من كل زوجين اثنين من الحيوانات والطيور والوحوش إضافة إلى المؤمنين به، لضمان بقاء الحيوانات والطيور على الأرض بعد الطوفان.

فالإسـلام أوجـد حلـولاً تضـمن اسـتمرار التـنوع البيئي وضمان العيش بمواجهة الكـوارث الطبيعية؛ كالجفاف والطوفان من خلال المحميات والادخار وترشيد استهلاك الثـروات الطبيعـية، وحـرم الإسـلام في الحـروب استخدام أسلحة الدمار الشامل وحرق الـزرع وقتل الماشية والأطفال. فقد روى أبو داود الوصية التالية للجنود: فعن سليمان بن بـريدة عـن أبـيه قـال: كـان رسـول الله ﷺ إذا أمّـر، أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصـته بـتقوى الله ومـن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلـوا مـن كفـر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً، ولا تقطعوا شجراً ولا تحرقوا زرعاً ... الحديث(45).

وأبـاح الإسلام صيد الحيوان للضرورة القصوى، وفي حدود حاجة الإنسان، ومنع الصـيد الجائـر الـذي يـؤدي إلى هـلاك النسـل، والـذي يـتخذه بعض الناس وسيلة للهو والعـبث، واعتـبر القـرآن من يقوم بهذا مفسداً في الأرض. قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقـرة: 205]، ولا شـك في أن إتـلاف الحيوانات يلحق إخلالاً بالتوازن البيئي، ولا سيما صيد الأنثى في موسم التكاثر، فالإسلام سبق غيره بأشواط طويلة في هذا المجال.

أمـا مـا نشـاهده ونسمع عنه من أمور تتعلق بالفخر والمفاخرة بكثرة الاصطياد، بمعنى أن شخصاً ما وصل إلى عشرين أو ثلاثين شاة غزال دون تمييز بين كبير وصغير ذكـر وأنثـى، فهـذه تمثل إفناء جنس خلقه الله لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، وعلـى ولـي الأمـر الـتدخل لمـنع هذه الإبادة، بالإضافة إلى القيام بواجب التوعية البيئية والتنسيق مع مؤسسات التعليم وأجهزة الإعلام لتحقيق هذه التوعية البيئية.

الخاتمة

بالـبحث والتتـبع لتعالـيم الإسلام السمحة، نرى أن الإسلام وجه سلوك المسلمين للحفـاظ علـى البيـئة والاهـتمام بهـا، ومـن الاهتمام بالبيئة الشفقة والإحسان إلى النبات

45- مجمع الزوائد، ج5 ص317.

والحيوان، بل إلى كل كائن حي، مثلما كان سيد الكائنات ﷺ يصنع، فقد كان يميل للقطة الإناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها، وكان بعض الخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عماله ألا يحمّلوا الإبل فوق ما لا تطيق وألا يضربوها بالحديد.

ومن روائع حديث فقهاء المسلمين في الإحسان إلى الطير، ما كتبه العلاّمة المغربي (أبو علي بن رحال) من ضرورة أن يتفقد الإنسان الطير الذي يحبسه كما يتفقد أولاده، وإن يضع لهذا الطير خشبة ليركب عليها الطائر حتى لا يضر الوقوف على الأرض بالطائر.

فهل عرف التاريخ أعدل أو أرحم من المسلمين، ومن يتابع الجرائم الأمريكية في العراق أو أفغانستان أو الجرائم الإسرائيلية في فلسطين، يتأكد من رحمة المسلمين بالبيئة، فالإسلام دعا إلى عدم استخدام السم حتى في بلاد العدو، ونهى عن قطع الأشجار في الحرب أو السلم إلا في الحالات الضرورية.

فهذه إذاً حضارتنا فماذا عن حضارتهم؟ ومن أعجب العجب أن بعض الذين يَصِمون الإسلام بالتخلف وعدم التمُدن هم أولئك الذين قطعوا نخيل العراق، وهم الذين ساهموا في الاحتباس الحراري بغازاتهم المنبعثة من مصانعهم ومن نفاياتهم الذرية.

إن الإفساد المادي والخلقي للبيئة اليوم ليس من إنتاج التعاليم الإسلامية، بل هو نتاج الحضارة المادية وما تفعله هذه الدول الكبرى، إذ تلقى بمخلفات مصانعها في الأنهار والبحار دون احترام للحيوان أو النبات التي يعيش فيها، بل وصل الأمر بهذه الدول والشركات المادية أن لوثت علف الحيوان، وذلك بإضافة اليوريا والأمونيا المصنعة من جيف الحيوان، وما أمراض جنون البقر وأمراض الماشية التي أرعبت العالم إلا من جراء ذلك، وما يزال العالم يتذكر ولن ينسى القنبلة النووية التي أسقطت على هيروشيما والقنبلة النووية التي ألقيت على ناجازاكي فدمرت كل شيء وأحرقت كل شيء، ولم تبق على إنسان ولا حيوان ولا نبات.

فمن العبث أن نبحث عن النهضة والتقدم والحضارة في غير ديننا، فالإسلام هو الصيغة الوحيدة للسلام الإنساني، ولعمري إن ديناً هذا شأنه لجدير أن ترحب به النفوس وتتسع له الصدور حتى يدخل في شغافها ويُستقر في أعماقها، ويجب أن ترتفع أصواتنا عالية عالية في هذا السبيل، على الصُعد الرسمية والشعبية والمحلية والدولية، وأن نبذل في ذلك ما نستطيع.

وأن تكون ثمة قناعة تستقر في داخلنا، وهي ضرورة الثقة في ذاتنا وأننا أمة ذات حضارة عالمية خالدة تواكب التقدم وتساير التطور وتسمو بالمرء وتكسبه عزيمة وإرادة. وحضارة الغرب مادية عوراء ترى الحقيقة من جانب واحد ولا تعترف إلا بما تراه.

النتائج والتوصيات

خلص البحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج

1. إن تشريعات الإسلام تحول دون الفساد في الأرض.
2. درء المفاسد مقدم على جلب المصالح: فلولاة الأمور منع المباح إذا ترتب على وجوده ضرر بالبيئة يفوق النفع المتوقع منه.

ثانياً: التوصيات

1. التأكيد على دور المنظمات والمؤسسات الدولية والمحلية في نشر الوعي بين الناس عن أهمية المحافظة على البيئة، عن طريق عقد المؤتمرات العلمية والندوات ووسائل الإعلام المختلفة والمؤسسات التعليمية، وتضمين مناهج التعليم منهج الإسلام في التعامل مع البيئة.
2. مطالبة الدول في العالم إقامة المشاريع الصناعية بعيداً عن التجمعات السكانية حتى لا تتأثر بالآثار السلبية لهذه الصناعات.
3. منع إشعال النيران في المواد المطاطية والقمامة بغرض التخلص منها، ولا سيما في المناطق الأهلة بالسكان أو المجاورة لها.
4. العمل على نظافة الحدائق والشوارع والأماكن العامة المخصصة لتجمعات الجماهير.
5. حماية الغابات ومنع قطع الأشجار والعمل على زيادة المساحات الخضراء، وإقامة المحميات الطبيعية في المناطق الصحراوية.
6. منع الصيد الجائر حتى لا تنقرض الحيوانات والطيور البرية.
7. العمل على مكافحة ناقلات المرض من الحشرات والقوارض.
8. مراقبة المجازر ومحلات بيع اللحوم والمخابز والحلويات.
9. دعوة المفكرين والباحثين في مجالاتهم إلى عرض رؤية الإسلام الشاملة للبيئة

ومشكلاتها والعمل على تصحيح المسار وبيان مواطن الخلل كلما أتيحت لهم الفرصة من المحافل العلمية والفكرية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
1. الإسلام والبيئة، د. خالد الفلاح، جامعة السابع من إبريل، بحث غير منشور.
2. الإسلام والبيئة، عبد العظيم أحمد عبد العظيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999.
3. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ط1412هـ 1992م، تحقيق علي محمد البيجاوي.
4. إنهم يقتلون البيئة، د. ممدوح حامد عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.
5. البيئة والإنسان، رؤية إسلامية، الدكتور زين الدين عبد المقصود، دار الحديث للبحوث العلمية.
6. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، ت671هـ تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.
7. الجريدة الرسمية لسنة 27 العدد 25.
8. الجريدة الرسمية لسنة 26 العدد خاص.
9. الطبقات الكبرى، لابن سعد، الطبعة الأولى، 1968 بيروت لبنان، تحقيق إحسان عباس.
10. المعجم الوسيط، دار الحديث للطبع والنشر، بيروت.
11. المغنى مع الشرح الكبير، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: بدون ط.
12. الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفد، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983.
13. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط1، 1407هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
14. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط1، 1404هـ-1984م.
15. رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية، الدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط1، 1421هـ-2001م.
16. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ت275هـ دار

الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
17. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني بن ماجة، ت273هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
18. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي، ت303 بشرح جلال الدين السيوطي، المطبعة المصرية بالأزهر.
19. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ت1089هـ تحقيق لجنة أحياء التراث العربي.
20. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين، ط أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410 هـ.
21. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 2004م.
22. فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1356.
23. لسان العرب، ابن منظور، تصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت.
24. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامي، فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، تعني بالبحوث والدراسات الإسلامية، السنة السابعة عشرة، العدد الحادي والخمسون، شوال 1423هـ- ديسمبر 2002م.
25. مسند الأحكام، أحمد بن حنبل ت241هـ دار صادر، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.
26. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان، القاهرة، 1407هـ.
27. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.